(3)

الصياد والبحر

موجة أثر موجة تلامس الشاطئ بنعومة قد تشتد احيانا حتي تكاد تشبه الصفعة القوية يرتجف لها قلب الأنسان .
تلك هي حياة البحر، موجة تدفع موجة ... وصفاء لا يعكره إلا الزبد الذي ترسله الصفعة القوية والموجة الهائجة المشحونة بغضب البحر والتي تحمل الي قلوب ونفوس الناظرين إليها والي قلوب الذين يعيشون قرب الشاطئ ..
البحر مسائهم وصبحهم .. وغذاؤهم وأملهم عندما تغلق منافذ الأمل في حياة البؤس التي يعيشونها .
وهذا المركب السائر عبر الموج، يقوده عبد الستار .. تدفعه الموجه هازئة فيتمايل معها .. ينحني لجبروتها في تواضع جم لا يعرف التحدي .
فإذا ثارت الموجة وحاولت أن تتطاول علي مركب عبد الستار .. وان تزيد في كبريائها وجموحها ، ارتفع من قلب القارب ساعدان مفتولان ..صلبان كالحديد .. ولينان في ساعات اللين، ففي عروقهما الحنان والتصميم معا .. تمتدان معا في وجه الموجه المتطاولة المتعجرفة .. كما تمتدان للعناق !.. ويبدأ التحدي بين البحر وساعدي عبد الستار الذي يشق الموج ..
جيوش الموج بمجدافيه، مؤمنا كل الايمان أن أحدا لابكته، ينشرها علي سطح البحر كرشة عطر، يمسك أطرافها بساعديه متحفظا ... قدماه مثبتتان في ارض القارب في توازن وحذر ..

لا تؤثر فيه الأمواج ولا الرياح وعيناه في البحر .. في الزبد .. وروحه تسير مع الأمل علي سير حبال الشبكة .. حتي النهاية حيث تتجمع الاسماك ..
أو يتمني أن تتجمع، لانها يجب أن تكون ملأي بالاسماك والا فأن الجوع سوف يفتك به هذا المساء .. وربما طرده المعلم عباس صاحب القارب وهو لا يملك شيئا .. إلا القلب والجسد الاسمر القوي .. أنه عاجز حتى عن شراء شبكة لحبيبته، ولو قسطوا له ثمنها علي عشرةُ أَقساط!
وينتفض السمك في الشبكه وتسري الانتفاضة علي سير الحبال الي روحه، الي الأمل الذي يعيشه في الخيال .. الي قلبه وساعديه .. وترد الساعدان الانتفاضة وتحملان الشبكة الي القارب وفي داخلها الاسماك تتراقص . وتهرب من صدر عبد الستار زفرة ارتياح وتنتهي معركة اليوم .. ويعود القارب الي صخور الشاطئ ويحمل الصياد الاسمر شبكته وصيده الي المعلم عباس صاحب القارب وعشرات القوارب .. ويقف عند باب دكانه ينتظر أن يصرخ المعلم عباس بوجهه كعادته كم اصطت؟
ولاكن المعلم عباس لم يصرخ في وجهه، ربما كان يتلهى بمغازلة شاربه الطويل وهو يدخن الشيشة التي لا يفارق مشربها فمه طوال النهار ومعظم الليل!
وحاول عبد الستار أن يسعل، أن يحدث حركه لتنبيه المعلم عباس بوجوده .. ولكنه لم يفعل، خاف أن يفسرها المعلم عباس تفسيرا سيئا ، وتحرك المعلم عباس في هدوء وعيناه علي الشبكه اولا ... وعلي كيسها ثانيا .. واخيرا علي وجه عبد الستار ، الأمواج اليوم قوية .. كم اصطدت ياعبد الستار؟
اربع سمكات كبيرة وتسع سمكات صغيرة!!
الحقيقة انك صياد كسول .. حرام الخبز يدخل بطنك ..

فقط اربع سمكات؟
الريح قوية و الأمواج هائجة جدا.. والله يا معلم عباس ..
ووقف المعلم عباس .. صارخا بوجه عبد الستار ... امواج .. ورياح .. وكذب .. ونفاق ..
مطرود .. مطرود .. اخرج .. اخرج . واستفاق عبد الستار علي صوت المأساة مطرود .. مطرود ..اخرج .. اخرج ..مطرود .. فمن أين يأكل وليس معه اي شئ؟
وترقرقت عيناه بالدموع وهو يتوسل المعلم عباس أن لا يطرده، أن يجربه ليوم اخر ، وقال إنه سيشتغل الليل والنهار
وسعل المعلم عباس وهو يقف علي باب الدكان وخلفه عبد الستار .. ثم قال له عبد الستار! وانتفض عبد الستار .. ترتجف جسده للنداء نعم يا معلم اليوم صيدك قليل .. يوم السبت لازم تصطاد الضعف .. ورمى إليه أجرته دون أن يستمع لجوابه .. لأنه يعرف تماما أن عبد الستار لن يعترض لكلا يموت جوعا.
وخرج عبد الستار ويده تعبث بالنقود وبالثمن البخس وابتعد عن دكان عباس وبدأت آلامه تخف وبدأ تفكيره يتجه اتجاها آخر .. شأنه شأن كل المعذبين من أبناء شعبنا ، الذين يرمون بالصور المؤلمة بعيدا عنهم في ساعات فراغهم ..
كان يفكر في (امال) الوحيدة التي تمسح في مساء كل يوم شيئا من الأمه وعذابه وصراخ عباس وعجرفته وغضبه ..
إن الموجة العابرة من الحب البريء التي يتلقاها من شفتيها في ابتسامه خجلى، تبدد ولو الي حين كل الصور البشعه عن هذه الحياة؟
ولكن ما بال امال تقف في طريقه كتمثال الشمع، لا تبتسم ولا تقترب ولا تلوح له بعينيها من بعيد كعادتها؟

ما هذا الجمود الطارئ في شفتيها وماهذه الرطوبة في العنيين اهي تبكي؟ ام هو مشروع بكاء؟ إثمة أمر يزعجها ، هل أساء إليها ؟ أن شيئا من هذا لم يحدث فهو يحتاطها بحنان الحب الذي يغار . . بل ويغار عليها من نفسه وعينيه هو.
ويلتقي بأمال في زاويه الطريق بعد أن حرك جمودها بهتافه (تعالي.. تعالي) وتحرك تمثال الشمع الي الزاوية كالحمل الوديع يسير في حب واستسلام .
وامسك بيدها يتحرى فيهم الحياه ليتأكد أنها مازالت حيه
وان جمودها طارئ وللحظات .
ويسألها عن سبب وجومها، عن الابتسامة المثبتة النائمة علي شفتيها هذا المساء !
تحركت شفتاها .. وحاولت أن تتكلم ولكنها انهارت سريعا،
لم تفارق الكلمات ثغرها لم تخرج وتتدحرج لان حشرجة الدمع أوقفتها .. وبدأ حديث الدمع ومسح عبد الستار دموعها .. كان يتلقاها دمعة ، دمعة والدموع لا تتوقف عن المسيل ، وأحس أن الأمواج التي يتحداها كل يوم من الصباح الي المساء أضعف بكثير من الدمعة التي تذوب من العنيين الصافيتين ..
أنه بتحدي الأمواج بساعديه ولكن العزم والتصميم أضعف من أن يستطيعا معا كبت الألم والانتصار علي دمعة فتاة واحدة لها قلبا يدق ويدق ..
والقت آمال رأسها علي صدر عبد الستار و ظلت تبكي وتبكي
وتمتمات متقطعه تخرج من فمها " لن اتزوج غيرك .. سأموت يا عبد الستار اذا زوجوني رجب .. سأموت .. وتعاود البكاء ورأسها مدفون في عنف بين ساعدي عبد الستار وظلام المساء يخفي اسرار العاشقين دائما .

جرب عبد الستار أن يتكلم، أن يقول لها بأمكانه أن يتزوجها وهو يده تتحسس الثمن البخس . وخرس من هذا التحسس .. فمعه جنيهات قليله .. فهل يتزوج؟ ويفكر لحظه في الزواج .. ويتذكر أن كثير من رفاقه الصيادين متزوجون واجرهم مثل اجره فلماذا يحرم نفسه من امال؟
تزيد الآلام اكثر لو كانت معه وهل يمكن أن تزداد اكثر مما هي عليه الآن؟
وضم أمال إليه .. والليل يحرسهما.
يوم السبت اذهب واخطبك .. ستكفينا اجرتي..
ارفضي رجب وانتظريني عندما اعود مساء من الصيد ..
وهربت منها فرحه .. وفي خاطرها ألف ألف صوره عن يوم السبت وبقي عبد الستار في مكانه يفكر .. ويفكر .. ويده تعبث بأجره ..!!
الساعه جاوزت السابعة مساء ولم يعد عبد الستار من رحلة اليوم، وآمال تقف علي الشاطئ، عيناها في البحر تنتظر عوده عبد الستار وعلي فمها ابتسامه ليست ميته ولا جافه ولا حزينة ، أن عينها تسبحان بعيدا في البحر الواسع ، سيعود عبد الستار .. حبيبها الاسمر .. ومعه السمك ..
وقاربه يهتز فوق الموج ثائرا منتصرا .. كان الموج هائجا ، ولكن أمال لم تفكر مطلقا بأمر الموج ، لانها تعلم أن عبد الستار قوي .. وان الموج لم يغلبه ابدا.. أو ربما لانها تعيش في جو عام من الفرح .. انساها صور الشر .. وانتزعت من قلبها .. حدس الشر ..
سيعود عبد الستار .. سيضمها الي صدره ويذهبان معا .. الي ابيها .. ليقول له سأتزوج أمال وتضع يدها علي وجهها .. وتغيب في حلم اخضر .. وحبات الماء الطائشة المتناثرة من امواج البحر .. ترتمي عليها فلا تشعر الا وقلقها يتزايد ..

عبد الستار يصارع الأمواج ، يلقي بالشبكة مرة أثر مرة وعدد الاسماك، لم يتجاوز عدد اسماك أمس ...، فالامواج تهز القارب بعنف اقرب ما يكون الي عنف النار ... وقميص عبد الستار مبلل بالماء ، كأنه مغسول منذ لحظات .. ساعدا عبد الستار يكافحان .. يتصارعان .. والشبكه ترتفع ثم تنتشر .. وعدد الاسماك لم يزد .
سيطرده عباس سيقول له مطرود .. مطرود .. اخرج .. اخرج .. ويخرج بلا مال .. بلا عمل .. ليخطب آمال ..
وتزداد المأساة بشاعة في ضميره .. ويشعر أنه يقصد اشياء كثيره كانت تربطه بالحياة .. آمال .. ولقمه العيش .. ستمتد يده الي جيبة مساء كل يوم .. فتلامسان الفراغ نعم الفراغ .. وسيمر من قرب بيت آمال فلا يسمع صوتها ولا يرى ابتسامتها الحلوة ..سيموت جوعا
ويرمي الشبكه مره اخري شأنه شأن المقامر الذي يظل علي صلة بأمل الربح .. وترتفع الشبكه مرة أخري إلي القارب فارغه خفيفة .. ينبعث منها نداء البخل يرسله البحر ...ويلقي عبد الستار نفسه في ارض القارب مشلولا من الحركه جامدا .. عيناه علي الاسماك يتمني لو يتضاعف عددها .. لو أن البحر ليس هائج .. لو انه أكرم عليه بالاسماك . الأمواج تضرب القارب ويزداد صفير الريح .. الزبد يرغي والقارب يتأرجح وعبد الستار لا يحرك ساعديه في وجه العاصفة ..
الساعة الثامنة والنصف مساء.. قالوا علي الشاطئ أن قارب عبد الستار غلبه الموج .. انقلب وتحطم .. وعادت الاسماك الي الماء .. ووصلت اخشاب القارب الي الشاطئ .. وبعد نصف ساعة من البحث، وصلت سمكة كبيرة ضخمه الي الشاطئ اعطوها للامال الباكية
..دون كلمة عزاء واحدة .. امال تحضن السمكة الكبيرة باكيه محروقه القلب . وعباس يفتل شاربه ويدخن الشيشة ويصرخ في وجه عامل آخر اسمه سيد "مطرود .. مطرود.